خمسون سنة من البحث في التاريخ الوسيط بالجامعة الجزائرية (1962- 2012)

أ. د. علاوة عمارة،
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة.

بعد تأسيس الدوائر الأكاديمية الفرنسية للمؤسسات الأولى للبحث التاريخي والأثري في الجزائر المستعمرة، جاءت مرحلة الاستقلال لتنطلق من إرث غلبت عليه الصبغة الأيديولوجية في كثير من الأحيان، خصوصا فيما اصطلح عليه آنذاك بالغزوة العربية وبالقرون المظلمة. إنّ إعادة تأسيس المؤسسات الجامعية والبحثية لم تكن عملية سهلة نظرا للنقص الكبير في تعداد الباحثين الأكفاء. إنّ الباحث الجزائري اليوم مدين لكل رواد المدرسة التاريخية الجزائرية الذين انطلقوا بإمكانيات بسيطة لتكوين أجيال من الباحثين.

حضور هام للتاريخ الوسيط

تسمح القائمة البيبليوغرافية المحصّل عليها انطلاقا من السنة الجامعية 1962- 1963 وإلى غاية جوان 2012 من التعرف على المكانة التي يحتلها التاريخ الوسيط في المنظومة البحثية الجامعية بالجزائر. فمن مجموع 1041 مذكرة ورسالة (دبلوم دراسات معمقة، ماجستير نظام قديم، ماجستير نظام جديد، دكتوراه الحلقة الثالثة، دكتوراه العلوم، دكتوراه الدولة)، كان نصيب التاريخ الوسيط 312، بمعنى الرتبة الثانية بعد التاريخ المعاصر (454)، وقبل التاريخ الحديث (148) وما قبل التاريخ والتاريخ القديم (136). إنّ هذه الأرقام تدل أولا على محورية التاريخ الوسيط

(الإسلامي أساسا) في بناء أيديولوجية الدولة الجزائرية ودور هذه الفترة في بناء الشخصية، بمعنى محورية الإسلام والعروبة في بناء الهوية الجزائرية. كما أنّ هيمنة التاريخ المعاصر تفسّر بالارتباط الوثيق بالشرعية التاريخية وبتضحيات الجزائريين في سبيل حريتهم، وبالتالي بناء نوع من الذاكرة ومحاولة فهم صيرورة الأحداث التاريخية.

لقد عرفت الدراسات الوسيطة منحى تصاعديا منذ الاستقلال. فبعد فترة محتشمة خلال الستينيات (بمعدل رسالة في السنة)، انتعش البحث في التاريخ الوسيط خلال فترة السبعينيات بعد استقرار الجيل الأول المؤسس لهذا المجال بجامعة الجزائر، خصوصا موسى لقبال (ت 2009)، عطاء الله دهينة (ت 1987)، ابراهيم فخار، رشيد بورويبة (ت 2007)، وعبد الحميد حاجيات. إنّ هذا الجيل الأول الذي تنوع تكوينه بين الجامعة المصرية والجامعة الفرنسية، رسم المعالم الأولى للبحث الجامعي من خلال تكوين مجموعة من الباحثين الأوائل بالجامعة الجزائرية على غرار محمد بن عميرة ونشيدة رافعي. ومن هنا ارتفعت وتيرة البحث كما تدل عليه الأرقام: 3 في سنة 1976، و2 في عام 1978 و6 في سنة 1979.

بنهاية السبعينيات وبداية الثمانينات، توسّع التكوين في الدراسات العليا ليشمل جامعتي وهران وقسنطينة، مما ساهم تدريجيا في رفع وتيرة المناقشات خصوصا مع إدراج إصلاحات جديدة ألغت دكتوراه الحلقة الثالثة وعوضتها بالماجستير. غير أنّ التحول الحقيقي حدث في سنوات التسعينيات خصوصا بعد مواصلة باحثين جزائريين سبق لهم الدراسة بمصر والعراق لمرحلتهم في الدكتوراه بالجامعة الجزائرية، والفتح التدريجي لأقسام التاريخ بجامعات وطنية أخرى (باتنة، سيدي بلعباس، معسكر....). لقد أعطى المرسوم التنفيذي التنفيذيرقم98- 254دفعا قويا ولو من الناحية الكمية

للدراسات في التاريخ الوسيط، حيث ارتفعت عدد المذكرات والرسائل المنجزة إلى 193.

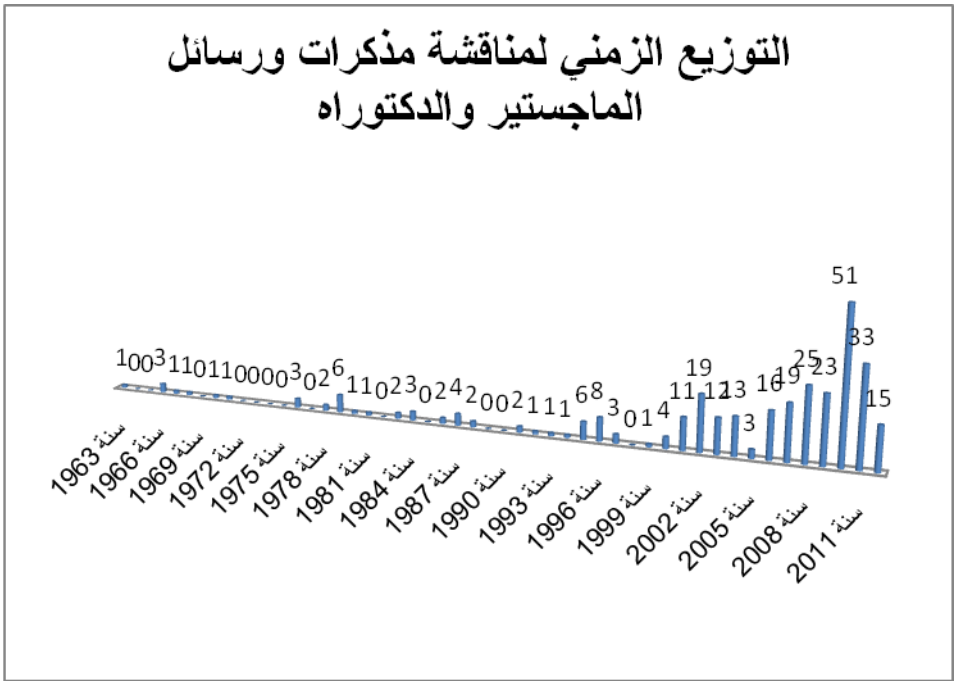

إنّ الأرقام الحالية التي نتوفر عليها تؤكد بما لا يدعو للشك إلى مركزية مدينة الجزائر في حقل البحث الجامعي في التاريخ الوسيط بمجموع 172 مذكرة ورسالة موزعة بين جامعة الجزائر 2 (160)، والمدرسة العليا للأساتذة- الجزائر (8) وجامعة الجزائر 1 (4). وتأتي قسنطينة في المرتبة الثانية بـ 74 مذكرة ورسالة (45 بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية و29 بجامعة منتوري)، في حين تحل وهران في المرتبة الثالثة بمجموع 32 مذكرة ورسالة. وبدأت في البروز جامعات تلمسان (10) وباتنة (8) ومعسكر (5) بتكوين دفعات متخصصة في التاريخ الإسلامي الوسيط.

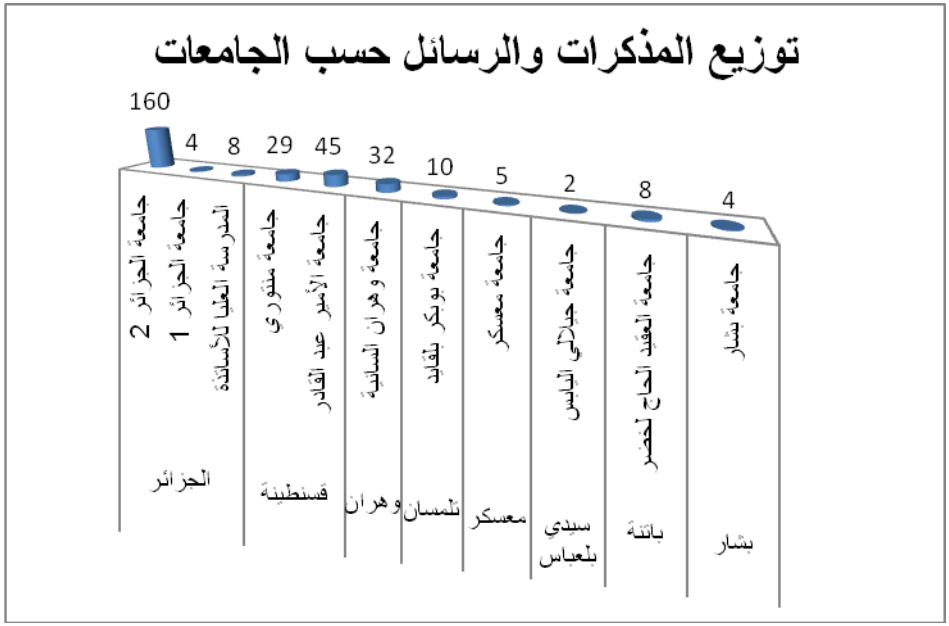

إنّ سيادة مذكرات الماجستير (نظام جديد) بحوالي 174 مقابل 25 رسالة دكتوراه دولة و19 رسالة دكتوراه علوم تعطي انطباعا بافتقاد عدد من مجالات البحث للعمق المنهجي والمعرفي المطلوب، بالنظر إلى قصر فترة تحضيرها من الناحية القانونية.

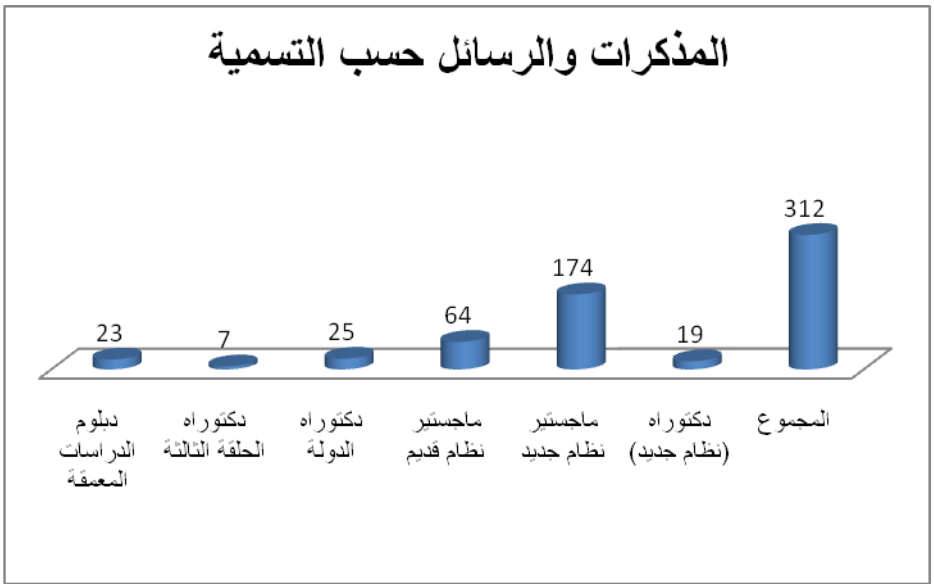

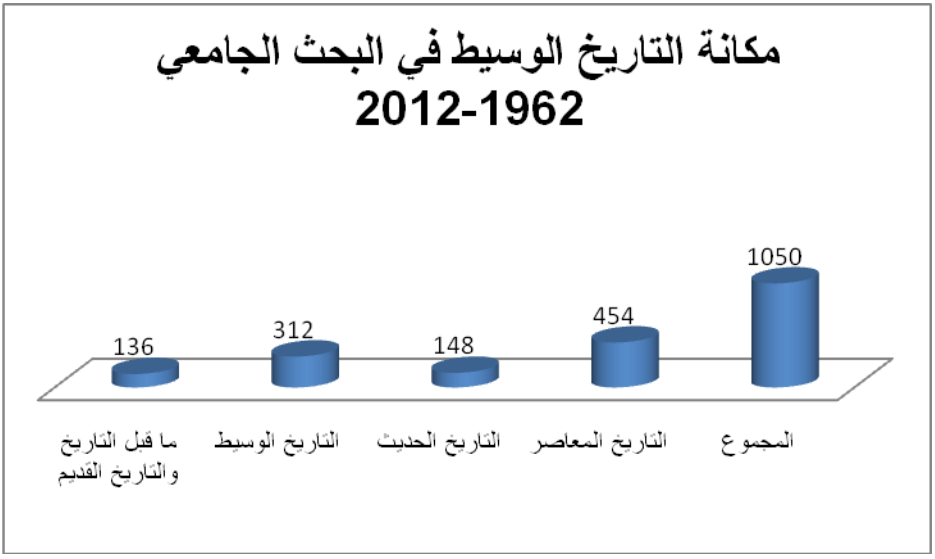

مركزية إسلامية: مكانة ضئيلة للمجالات غير الإسلامية

إنّ التاريخ الوسيط بالتقسيم الغربي والذي يبدأ عند المسلمين بالرسالة النبوية لا نجد له امتدادات عميقة خارج الفلك السياسي والثقافي للإسلام. فمن مجموع 312 مذكرة ورسالة في التاريخ الوسيط، نجد فقط ثلاثة لها علاقة مباشرة بأوروبا المسيحية وثمانية بالمشرق اللاتيني والحروب الصليبية واثنتين بأوكرانيا وأرمينيا واثنتين بالهند والصين. في حين أن البقية تخص مباشرة المجالات الإسلامية في المغرب (164) والأندلس (73)، والمشرق الإسلامي (56) والسودان الغربي (7). إنّ هذه الوضعية تفسّر بغياب دراسات متخصصة خارج المجالات الإسلامية التقليدية بسبب عوامل لغوية ومنهجية وقلة التأطير فيها. فالجامعة الجزائرية لم تتمكن من تكوين متخصصين في المجالات الأوروبية الغربية والبيزنطية. ومعظم الذين تطرقوا إلى هذه المجالات كان من باب دراسة علاقاتها مع القوى الإسلامية دون الرجوع إلى المادة الأرشيفية في أغلب الأحيان.

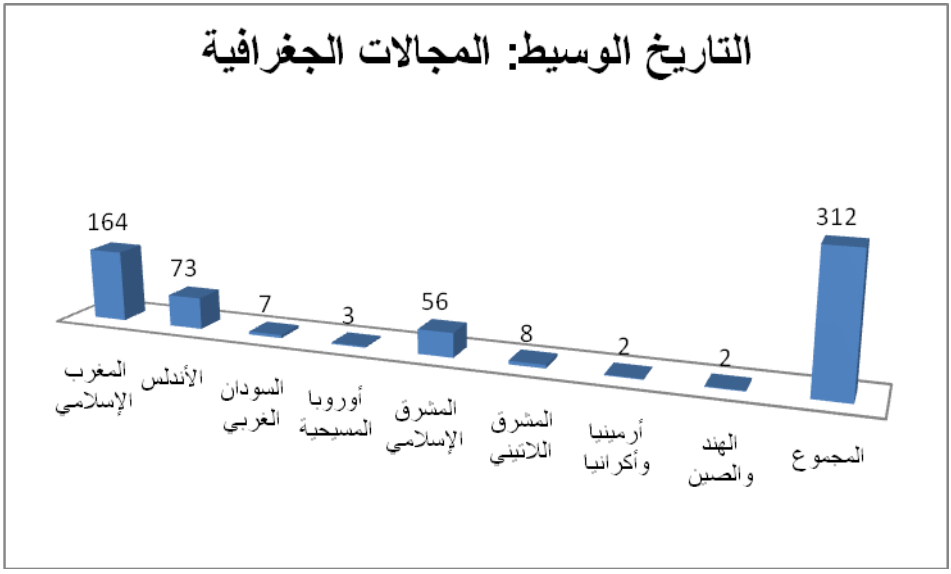

مركزية مغرب أوسطية

على الرغم من قلة المادة الأرشيفية والخبرية حول المغرب الأوسط مقارنة بإفريقية والمغرب الأقصى، نجد أن المغرب الأوسط خصصت له 79 مذكرة ورسالة متجاوزا بذلك إفريقية (13) والمغرب الأقصى (13)، وهذا ما يدل بوضوح على التوجه العام في كتابة التاريخ الوطني، رغم تخصيص 55 موضوع للمغرب بصفة شاملة، بمعنى دراسة ظاهرة ما دون اللجوء إلى الحالات القطرية. إنّ التركيز على المجال القطري لم يكن خاصية جزائرية، بل إن معظم الدول المجاورة لجأت إلى هذا الخيار الذي يندرج أساسا في بناء إيديولوجية الدولة- الأمة ذات البعد العربي الإسلامي، بنوع من القطيعة المعرفية مع الماضي غير الإسلامي وبعدم التركيز على المجالات الخارجية.

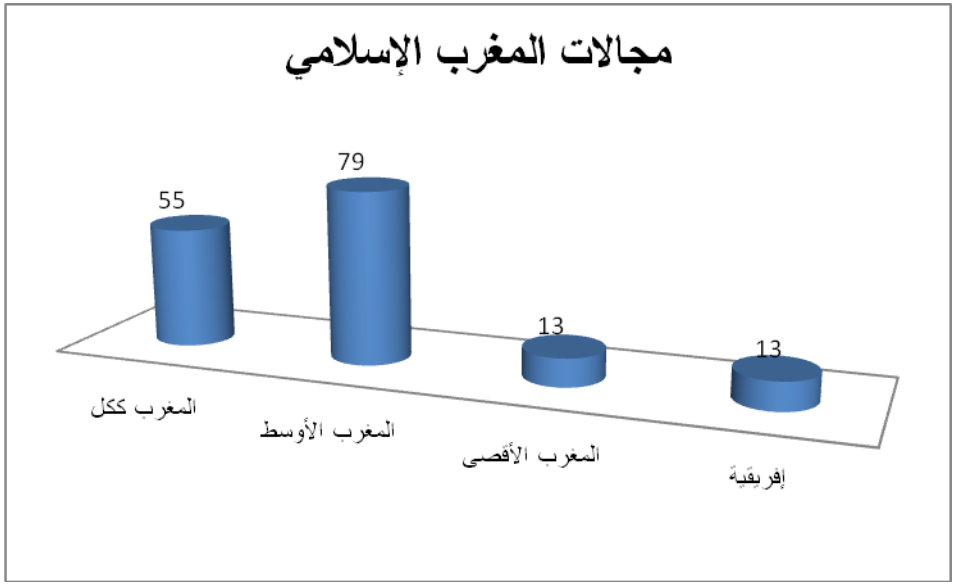

كما أن دراسة مختلف مراحل المغرب الإسلامي لم تكن متوازنة، فقد جاءت معظم المذكرات والرسائل لتعالج المرحلة الثانية من العصر

الوسيط الإسلامي، بمعنى الفترة الممتدة من منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي إلى القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، بمجموع 114، في حين أن المرحلة الإسلامية الممتدة من الفتوحات إلى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي لم تسجل بها إلا 59 مذكرة ورسالة. إنّ هذا التوجه له ما يبرره بالنظر إلى قلة المادة الخبرية فيما يخص الفترة الأولى، وقلة النصوص غير التقليدية الاستغلال المرتبطة بها.

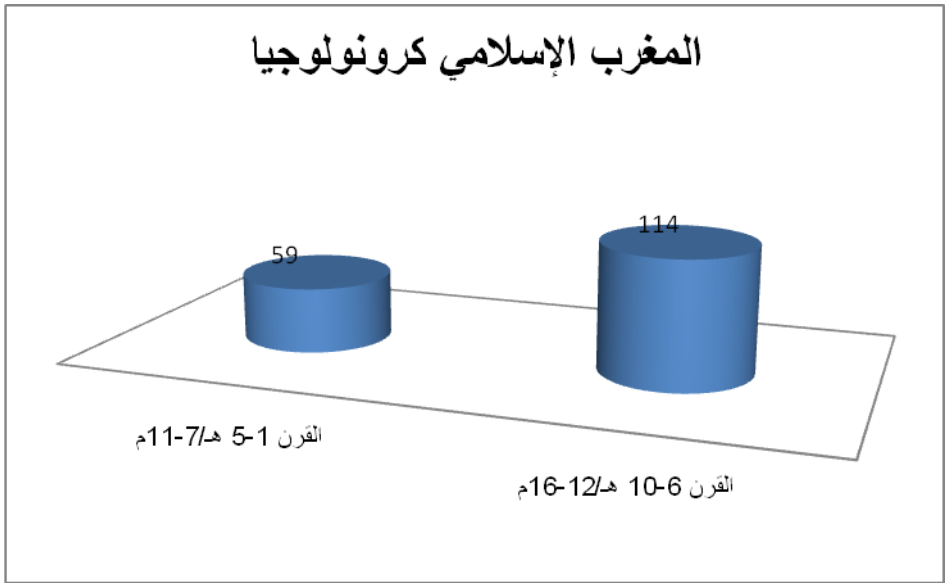

من الحنين الأندلسي إلى مركزية المغرب الأوسط

لم تكن المكانة التي وصلت إليها الدراسات الأندلسية بالجامعة الجزائرية وليدة البارحة، فقد تخصصت الدفعات الأولى في ذلك من خلال دراسة "علاقات المغرب الأوسط بمملكة أراغونة" لسرفاتي أو "علاقة مملكة كتالونيا بالمغرب الأقصى" لقوبولاس، وأيضا "سكان ميورقة المسلمين" لنجم

الدين قابس، بمعنى أن معظم هذه الدراسات سايرت التوجه العام الذي قاده المؤرخ الفرنسي شارل- إيمانويل ديفورك (Charles-Emmanuel Dufourcq) الذي أشرف على عدد من أبحاث ورسائل المغاربة في هذا الإطار خصوصا عطاء اللّه دهينة. كما نسجّل هنا أيضا التشكل التدريجي للنواة الأولى للمؤرخين الجزائريين الذين تتلمذوا على المصريين، خصوصا موسى لقبال الذين ناقش دبلوم دراسات معمقة تحت إشراف محمد عبد الهادي شعيرة الذي عمل بجامعة الجزائر ما بين 1963 و1967. فكان موضوع رسالته هو الوضعية السياسية والإدارية للمغرب الإسلامي خلال الفترة الأموية (ن، سعيدوني، 2011: 258).

تبعت هذا التوجه الأول مرحلة تفتقد لسياسة بحثية واضحة بالنظر لتنوع المواضيع، مع غلبة تلك المرتبطة بنظرية العصبية الخلدونية، على غرار رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة التي أنجزها محمد بن عميرة "دور زناتة في الحركات المذهبية في المغرب الإسلامي" (الجزائر، 1978) وبحث جودت عبد الكريم يوسف الموسوم بـ "العلاقات الخارجية للدولة الرستمية" (الجزائر، 1978). كما يمكن إضافة دبلوم الدراسات المعمقة لحساني مختار حول "الصراع بين الفاطميين والأمويين على السيادة في المغرب الإسلامي" (الجزائر، 1979).

شكّلت مرحلة الثمانينات من القرن الماضي انتعاش للدراسات الوسيطة سواء محليا من خلال انجاز عدد من البحوث الجامعية أو من خلال مواصلة طلبة جزائريين لدراساتهم في الجامعات المشرقية، مصرية وعراقية أساسا، بفضل السياسة التكوينية التي اعتمدتها الدولة الجزائرية. فعلى الصعيد المحلي الذي هو موضوع هذه الورقة، يلاحظ على وجه الخصوص التركيز التدريجي على المغرب الأوسط من خلال عدد من الرسائل منها

"التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية (ق 7- 10 هـ/13- 16م) للطيفة بشاري (الجزائر، 1987)، و"الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في عهد الإمارة الرستمية 144- 296 هـ/760- 909م" لعبد الحفيظ منصور (قسنطينة، 1984)، و"الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للدولة الزيانية 633- 962 هـ / 1235- 1554 م" لحساني مختار (الجزائر، 1987). إنّ التوجه المغرب أوسطي للبحث في التاريخ الوسيط لم يلغ كلية البعد المغاربي أو حتى الأصول المشرقية. فقد استمرت دراسة عدد من المسائل المرتبطة بالمغرب الكبير أو بالغرب الإسلامي بصفة عامة، على غرار رسائل ماجستير كل من محمد الأمين بلغيث "الرباط بالمغرب الإسلامي ودوره في عصري المرابطين والموحدين" (الجزائر، 1987)، وبوزياني الدراجي "العصبية القبلية وأثرها على النظم والعلاقات في المغرب الإسلامي (ق 6- 9 هـ)" (الجزائر، 1988)، ومحمد أرزقي فراد "القوى المغربية في الأندلس في عهد ملوك الطوائف (الجزائر، 1988). وتوسعت دائرة الاهتمام بمختلف المجالات المشرقية وغير الإسلامية بفضل جهود موسى لقبال الذي أشرف على عدد من الرسائل في هذا المجال، على غرار "دور أسرة البرامكة في تاريخ الخلافة العباسية" لبشار قويدر (الجزائر، 1986)، و"العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطالية وصقلية" لرشيد تومي (الجزائر، 1988).

مرحلة التسعينات: استمرار للسياسة البحثية السابقة

استمرت وضعية البحث في التاريخ الوسيط خلال مرحلة التسعينات بنفس الوتيرة تقريبا بتنوع في المواضيع وبتسجيل مناقشة أولى رسائل دكتوراه الدولة في الجامعة الجزائرية: "أنساب القبائل العربية المهاجرة بمواليها الى بلاد المغرب خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة" لنور الهدى بوخالفة (وهران، 1995)، و"تلمسان في العهد الزياني: دراسة اجتماعية وسياسية وعمرانية

وثقافية" لعبد العزيز فيلالي (الجزائر، 1996)، و"النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي 296- 362/909- 973" لبوبة مجاني (قسنطينة، 1996)، و"جبل نفوسة منذ الفتح الإسلامي إلى هجرة بني هلال إلى المغرب (21- 442/642- 1053)" لمسعود مزهودي (قسنطينة، 1997)، و"القضاء في المغرب الإسلامي من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية (96- 296/715- 909)" لابراهيم بحاز (قسنطينة، 1997).

وعلى صعيد آخر، استمر البحث في التاريخ الوسيط بنفس وضعية المرحلة السابقة ودون رؤية واضحة ومنسجمة تأخذ في الحسبان تطور المقاربات المنهجية التي عرفها البحث التاريخي في العالمين الغربي والعربي. ومن أهم المواضيع التي مسّت بلاد المغرب، يمكن الإشارة إلى "دولة بني مدرار بسجلماسة ودور تجارة القوافل في ازدهارها الحضاري (2- 4هـ)، للحاج عيفة شنايت (الجزائر، 1991)، و"اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط الدولة الموحدية" لمسعود كواتي (الجزائر، 1992)، و"العلاقات بين الدولتين الحفصية والمملوكية 648هـ/1250- 694هـ/1296م" ليوسف عابد (قسنطينة، 1994)،و"تاريخ القضاء الإسلامي وتطوره ببلاد المغرب على عهد المرابطين والموحدين" لمحمد بن معمر (وهران، 1995)، و"نظام الضرائب في المغرب منذ عهد الولاة حتى سقوط الموحدين" لأحسن بولعسل (قسنطينة، 1995)، و"دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية والثقافية ببلاد المغرب الإسلامي (ق2- 5هـ/8- 11 م)،لاسماعيل سامعي (الجزائر، 1995)، و"قضاء الجماعة بقرطبة الإسلامية من قيام الإمارة إلى نهاية الخلافة الأموية. (138- 422 هـ/ 756- 1031 م)" لعبد السلام همال (الجزائر، 1996).

كان لفتح قسم التاريخ بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة دورا ملحوظا في التوجه المشرقي للدراسات التاريخية من خلال عدد من الرسائل تركزت في مجملها على مجالات مشرقية متنوعة: "السياسة المالية للخليفة عمر بن عبد العزيز على ضوء رسائله" لمحمد فرقاني (1993)، و"الخراسانيون ودورهم السياسي والعلمي في العصر العباسي الأول" لنجيب بن خيرة (1995) و"روايات الفتنة الكبرى ورواتها في تاريخ الطبري" لابراهيم بن مهية (1996). كما تواصل الاهتمام المشرقي بجامعة الجزائر من خلال طلبة موسى لقبال، حيث تمّ تسجيل مناقشة عدة مواضيع منها:"علاقات مغول تركستان مع القوى السياسية خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري (13 م)، لأحمد شريفي (الجزائر، 1991)، و"نشاط هيئة الداوية في بلاد الشام وغرب أوروبا (513- 710 هـ)" لعاشوري قمعون (الجزائر، 1995)، و"العلاقات الخارجية لمملكة أرمينيا الصغرى من منتصف القرن الثاني عشر الميلادي حتى سنة 1375 م" لفاطمة بوعمامة (الجزائر، 1996).

كما دخلت دراسات التاريخ الوسيط عالم التحقيق من خلال رسالة ماجستير عبد القادر بوباية الموسومة بـ "مخطوط "مفاخر البربر" دراسة وتحقيق" (وهران، 1996).

إصلاحات 1998 وأثرها في الدراسات التاريخية

مهّد المرسوم التنفيذيرقم 98- 254 ظهور مرحلة مغايرة في بداية الألفية الثالثة وذلك بتعويض رسالة ماجستير بمذكرة مكمّلة وأيضا الإنهاء التدريجي لرسائل دكتوراه الدولة وتعويضها برسالة دكتوراه علوم، وهو ما أدى إلى تضاعف عدد المذكرات والرسائل بشكل ملحوظ. فالإضافة إلى مناقشة رسائل دكتوراه دولة عديدة، أسهمت مذكرات الماجستير في معالجة

عدد معتبر من المجالات التاريخية. سأقتصر في هذا المقام التعرض إلى أهم محاور البحث التي تناولها الباحثين منذ عام 2000.

1- سيادة التاريخ الحدثي

على غرار الفترات السابقة لإصلاحات 1998، بقي حضور العامل السياسي ملحوظا في عدد كبير من المذكرات والرسائل. فبالإضافة إلى الأحداث السياسية والعسكرية، هناك توجه عام لدراسة المؤسسات السياسية والعسكرية والقضائية من خلال استغلال نصوص اخبارية متعددة. فعلى سبيل المثال لا الحصر، مذكرات ماجستير كل من جازية هرباش الموسومة بـ "ثورة بني غانية 580- 633هـ" (وهران، 2002)، وعبد الحفيظ حيمي "الوظائف المساعدة للقضاء في الأندلس خلال القرنين 3و4الهجريين-9و10الميلاديين" (وهران، 2007)، ومصطفى بن واز "نظام القضاء عند الحفصيين : 625- 981هـ/1281- 1573م" (بشار، 2007)، ومسعود بريكة "النخبة والسلطة في بجاية الحفصية" (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2009)، وحميد زيدور "البربر بين المعارضة والموالاة في عهد الإمارة الأموية بالأندلس (138- 316هـ/756- 928م)" (وهران، 2009)،ونصيرة طيطح "الكتابة السلطانية في عصر الخلافة الأموية بالأندلس (316-422ه/929- 1031م)" (وهران، 2009)،ونسيمة بلخير "انحراف الحملة الصليبية الرابعة وقيام الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية" (الجزائر 2، 2010)، ومصطفى بن حسين "المغول وعلاقتهم بالقوى المسيحية والإسلامية في أوروبا والمشرق. 612- 659 هـ/1215- 1260 م" (الجزائر 2، 2010)، وفريدة بورنان "دور القبائل العربية في الجيش الموحدي بالأندلس. 555- 580 هـ/1160- 1184 م" (جامعة الجزائر 2، 2010)، وفضيل بوالصوف "العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في

عصر ملوك الطوائف" (قسنطينة، 2011). ويلاحظ في هذا المحور الأول تمسك قسم التاريخ بجامعة الجزائر2 بهذا النوع من المواضيع، ليسجل بذلك استمرارية كبيرة مع مرحلتي الستينات والسبعينات من القرن الماضي.

2- التاريخ الثقافي: الذهنيات والعلوم والمعارف

بعد التاريخ السياسي وما يرتبط به، كان للتاريخ الثقافي أو العلمي مكانة هامة في الدراسات التاريخية الجامعية، خصوصا مع نشر المزيد من كتب التراجم والفهارس. فمقارنة بالفترات السابقة هناك توجه عام لدراسة الجوانب العلمية في الحضارة الإسلامية، خصوصا في المغرب الأوسط كما تدل عليه مختلف المذكرات والرسائل التي تمّت مناقشتها، والتي أشير إلى بعضها فقط: "الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع الهجري إلى القرن العاشر الهجري " لمحمد الشريف سيدي موسى (الجزائر، 2002)، و"الحياة العلمية في قرطبة من خلال كتاب "المقتبس" لابن حيان (377- 469 هـ/989- 1076 م)" للسعدي شخوم (الجزائر، 2002)، و"الحياة الثقافية والعلمية في الإمارة الأغلبية وعلاقاتها بالخلافة العباسية" للطيب بوسعد (الجزائر، 2003)، و"العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (633- 962م/1235- 1554م)" لعبد القادر بوحسون (وهران، 2008)، و"الإسهام الفكري للبربر بالأندلس من العهد العامري إلي نهاية الوجود المرابطي (371- 539هـ/981- 1148م)لحاج عبد القادر يخلف (وهران، 2009) و"الحياة العلمية والفكرية ببجاية خلال القرن 7 هـ/13م من خلال كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس أحمد الغبريني (ت 704 هـ/1304م)" للسعيد عقبة (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2009)،و"الحياة الثقافية في المغرب الأوسط خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي" لعباس قويدر

(سيدي بلعباس، 2010)، و"الحياة الثقافية في المغرب الأوسط خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي" لبلخير لبديري (سيدي بلعباس، 2010)، و"الحركة العلمية في عصر السلاجقة وأثرها على المشرق الإسلامي (11-13 م)" لمروان بن شوش (الجزائر، 2010)، و"الحركة العلمية وبيوتات العلماء في مدينة قسنطينة ق 7 هـ- 10 هـ/13- 16م" لعلال بن عمر (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2012). فبالإضافة إلى دراسة الحياة العلمية، تمّ التركيز في عدد من المذكرات على التربية والتعليم على غرار "التعليم والدعوة الموحدية 510- 1116/524- 1129م" لبلقاسم فيلالي (قسنطينة، 2004)، و"السياسة التعليمية للدولة الزيانية 633- 962 هـ/1236- 1554م" لعبد الخليل قريان (قسنطينة، 2004)، و"التربية والتعليم عند الاباضية بالمغرب الإسلامي ما بين القرنين الثالث والخامس الهجريين (9- 11 م)" لصلاح الدين شعباني (الجزائر، 2004)، و"التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة إلى تأسيس نظام العزابة (296- 409 هـ/909- 1018م)" لسامية مقري (قسنطينة، 2006)، و"المدارس التعليمية بالمغرب الأوسط على العهد الزياني (633- 962هـ/ 1335- 1554 م)" لبشير مبارك (معسكر، 2011).

ونوقشت في هذا الجانب أيضا عدد من رسائل دكتوراه الدولة والدكتوراه منها "الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين" لمحمد الأمين بلغيث (الجزائر، 2003)، و"الحياة العلمية في الدويلات الإسلامية بالمشرق (خراسان وبلاد ما وراء النهريين القرنين الثالث والخامس الهجريين 205- 432هـ) لنجيب بن خيرة (الأمير عبد القادر- قسنطينة، 2004)،و"الحياة الفكرية والثقافية في المغرب في العصر الفاطمي (296-

362 هـ)" لنشيدة رافعي (الجزائر، 2005)، و"الحياة العلمية في إفريقية في عصر الدولة الأغلبية (184- 296 هـ/800- 909 م)" لبوعلام صاحي (الجزائر، 2009)، و"إسهامات المغاربة والأندلسيين في مصر وبلاد الشام من بداية القرن السادس إلى نهاية القرن التاسع الهجري. (12- 15م)" للحاج عيفة شنايت (الجزائر، 2010).

ما يلاحظ هنا هو تكرار في المواضيع على غرار التعليم عند الإباضية أو إعادة دراسة مواضيع سبق وأن درست في بلدان أخرى، مما يطرح مشكل كبير متعلق بالبعد العالمي للبحث العلمي بالجزائر، كما أن مجمل المقاربات المستعملة بقيت تقليدية في معظمها.

3- الجماعات العقدية والفقهية والأقليات الدينية

حظيت الجماعات العقدية والفقهية والفكرية بدراسات متعددة في معظم الجامعات الوطنية. فالإباضية مثلا التي تخصص فيها مسعود مزهودي من خلال رسالة دكتوراه دولة "جبل نفوسة منذ الفتح الإسلامي إلى هجرة بني هلال إلى المغرب (21- 642/442- 1053)" (قسنطينة، 1997)، كانت موضوع لعدد من مذكرات طلبة الماجستير على غرار صلاح الدين شعباني (الجزائر، 2004) وسامية مقري (قسنطينة، 2006) وفطيمة مطهري في مذكرتها الموسومة بـ "مدينة تيهرت الرستمية: دراسة تاريخية حضارية (القرن2- 3 هـ / 8- 9 م)" (تلمسان، 2010). كما يضاف إلى ذلك تحقيق ودراسة عمر سليمان بوعصبانة لمجموع سير الإباضية في رسالته للدكتوراه "مجموعة سير الوسياني – دراسة وتحقيق الجزء الأول –ضبط ومقارنة نصوص الجزئين الثاني والثالث" (الأمير عبد القادر – قسنطينة،

2006). ما يلاحظ هنا هو قلة الدراسات الإباضية في الجامعة الجزائرية مقارنة بالدور الذي لعبته هذه الجماعات في تاريخ المغرب، خصوصا تلك الخاصة بالدراسات السكانية والعمرانية والتحولات الكبرى التي جاءت بعد منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.

باحتضانها لمركز الدعوة الاسماعيلية المغربية، لقيت بلاد كتامة والجزائر بصفة عامة اهتمام الدارسين خصوصا بعد العمل الرائد لموسى لقبال حول دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ثم الدراسة العميقة لبوبة مجاني "النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي 296-362/909- 973" (قسنطينة، 1996). كانت هذه الأعمال الأولى منطلقا لعدد من الدراسات التي مسّت القرن الاسماعيلي بالمغرب على غرار رسالة دكتوراه اسماعيل سامعي، "القاضي النعمان حياته وجهوده في نشر الدعوة الإسماعيلية وتطورها في الدور المغربي 313- 363هـ/925- 373م" (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2003) ومذكرة ماجستير محمد قويسم "تطور الفكر السياسي الإسماعيلي من خلال فكر القاضي النعمان بن محمد (313- 363 هـ/929- 979م)" (قسنطينة، 2003)، ومذكرة ماجستير يوسف بردودي "المذهب الاسماعيلي والعمران في المغرب الأوسط 280/893- 362/973" (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2012).

دون مفاجأة، كان حظ الجماعات المالكية أكبر من غيرها بالنظر لممارستها لسلطة علمية وفقهية وقضائية وحتى سياسية، حيث أصبحت عنصرا محوريا في تشكّل الهوية المغاربية. ولهذا فإن عدد من المذكرات والرسائل حاولت دراستها في مجالات وفترات متنوعة، فعلى سبيل المثال

دراسة لخضر بولطيف "فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي "510- 668هـ1116- 1269م"(الأمير عبد القادر- قسنطينة)، ودراسة صابرة خطيف "فقهاء تلمسان والسلطة في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني (633- 1235/791- 1388): الجهاز الديني والتعليمي" (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2004)، ودراسة خنوف شعيب "الأوضاع المذهبية في بلاد الغرب الإسلامي خلال العصر المرابطي (451- 541 هـ/1055- 1146م)" (الجزائر 2، 2010)، ومذكرة قادة سبع "المذهب المالكي بالمغرب الأوسط حتى منتصف القرن الخامس الهجري" (وهران، 2008)، ودراسة نسيم نوار "النزاع السني – الشيعي ببلاد المغرب وأثره في تجديد الفقه المالكي" (الجزائر 2، 2011)، ومذكرة سعيدة بوزري "المذهب المالكي في المغرب الأوسط دخوله وانتشاره، 3- 5 هـ/ 9- 11 م" (الجزائر 2، 2010)،ودراسة حفيظ كعوان، "أثر فقهاء المالكية الاجتماعي والثقافي بإفريقية (ق 2- 5هـ)" (باتنة، 2010)، ومذكرة فوزي رمضاني "دور المالكية في الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي. 567- 648 هـ/1171- 1250م" (المدرسة العليا للأساتذة- الجزائر، 2010)، ورسالة دكتوراه موسى هيصام "المذهب السني في المغربين الأدنى والأوسط 296- 547 هـ" (الجزائر 2، 2011). فبالإضافة إلى اعتماد نفس النصوص المصدرية والأدوات، نلاحظ تكرار كبير في المواضيع المدروسة في هذا الميدان.

لم يقتصر البحث في الجماعات على الدوائر الإباضية – الإسماعيلية – المالكية، بل امتد لجماعات أخرى منها المندثرة ومنها المستمرة، ومن

الأمثلة على ذلك "المذاهب الفقهية المندثرة وأثرها في التشريع الإسلامي في القرنين الثاني والثالث للهجرة (8و9م)" لعبد القادر بوعقادة (الجزائر، 2004)، و"علاقة فقهاء السنة بالدولة العباسية في عصرها الأول" لعبد الحميد العابد (باتنة، 2009)، و"شيخ الحنابلة أبو الوفاء بن عقيل، حياته وأعماله السياسية والاجتماعية والعلمية 431- 513 هـ/ 1040- 1119 م" لبدرينة زيان (الجزائر2، 2010)، ورسالة دكتوراه الدولة لخالد علال كبير، "الحركة العلمية الحنبلية وأثرها في المشرق الإسلامي خلال القرنين 6- 7 هـ/12- 13 م" (الجزائر، 2005). كما يمكن إضافة مذكرة ماجستير أم الخير عثماني "المعتزلة من خلال كتاب البيان والتبيين للجاحظ (225 هـ/869 م)" (الجزائر2، 2010)، ومذكرة محمد نصير "انتشار المذهب الأشعري ببلاد المغرب خلال القرن 4و5 هـ/10- 11م" (الجزائر2، 2011)، ومذكرة مصطفى مغزاوي "دور العامل السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي ومغربه منذ منتصف القرن 5 هـ/10 م إلى بداية القرن 8 هـ /13 م" (الجزائر، 2008)، ومذكرة عبد الجليل ملاخ "المذاهب غير المالكية بالأندلس (138- 422 هـ/756- 1036 م): دراسة سياسية حضارية" (الجزائر، 2007).

بالمقابل، لم يكن هناك حضور كبير للأقليات الدينية غير المسلمة، إذ نسجل عدد محدود جدا من الدراسات على غرار مذكرة سمير طبي "دور أهل الذمة في الدولة الإسلامية في العصر العباسي (132- 447هـ)" (باتنة، 2007)، ومذكرة عاشور منصورية "التسامح الديني في ظل الدولة الأموية بالأندلس(132- 422هـ)" (باتنة، 2007)، ومذكرة صفي الدين محي

الدين "المستعربون ودورهم في تاريخ الأندلس (138- 483هـ/755-1090م)" (وهران، 2008).وأخيرا، رسالة دكتوراه فاطمة بوعمامة "اليهود في المغرب الإسلامي (ق7- 9 هـ 13- 15 م)" (الجزائر، 2010). إنّ عدم التحكم في لغات البحث الخاصة بالأقليات كان لها دورا كبيرا في عدم اهتمام الدارسين بها، خصوصا اللغات اللاتينية والعبرية والسريانية.

4- التيارات الصوفية

شهدت أقسام التاريخ في السنوات الأخيرة اهتماما كبيرا بدراسة الظاهرة الصوفية والتيارات الزهدية في عدد من المجالات الجغرافية، خصوصا المغرب الأوسط. فقد كانت البداية مع عبيد بوداود من خلال رسالة ماجستير بعنوان "ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين(ق13- 15م)" (وهران، 2000)، ثم الطاهر بونابي "الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين (6- 7 هـ/ 12- 13 م)" (الجزائر، 2001)، جاعلا من المغرب الأوسط مجالا لدراسته. كما ناقش في نفس السنة محمد دبوب رسالة ماجستير حول "مساهمة الحركة الصوفية في المجالات الثقافية" (الجزائر، 2003)، ثم تبعتهما عدة مذكرات بإشراف بوبة مجاني حول التصوف في المغرب الإسلامي: "الحركة الصوفية في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الزياني (633/1236- 962/1555" لآمال لدرع (قسنطينة، 2006) و"المرأة والتصوف في المغرب الإسلامي، القرون 6- 9 هـ/12- 15م" لسهام دحماني (قسنطينة، 2006). وتوسع مجال الدراسات الصوفية ليشمل الغرب الإسلامي والأندلس من خلال مذكراتزينب ملياني "التصوف بالغرب الإسلامي في عصري المرابطين

والموحدين" (الجزائر، 2007)، وفاطمة الزهراء جدو "السلطة والمتصوفة في الأندلس في عهد المرابطين والموحدين 479- 635 هـ/1086- 1238" (قسنطينة، 2008)، وفتيحة مزياني "الحركة الصوفية وأثرها في المشرق الإسلامي خلال القرن 7 هـ/13 م" (الجزئر، 2009). وتأتي رسالة دكتوراه الطاهر بونابي "الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين (8- 9 هـ/ 14- 15 م)" (الجزائر، 2010) لتكمل معارفنا حول التصوف في المغرب الأوسط في القرنين الثامن والتاسع الهجريين بعمق أكثر وفاتحة أفق جديد في دراسة التراث الصوفي.

5- استعمال نصوص جديدة في الدراسات الاجتماعية

استمر البحث في التاريخ الاجتماعي خلال العشرية الأخيرة مع تسجيل اختلاف في المقاربات المنهجية بين مختلف أقسام التاريخ. فإذا كانت مجموعة من المواضيع قد استمرت في معالجة المواضيع بنفس رؤية المرحلة السابقة فإنّ عدد آخر منها انطلق من نصوص غير تقليدية (فقهية ومناقبية) لمعالجة القضايا المدروسة.

بالنسبة للصنف الأول، يمكن الإشارة إلى مذكرات ورسائل ماجستير كل من عبد الكريم شباب "صورة المجتمع في المغرب الأوسط خلال القرنين 7- 8هـ (13- 14م) من خلال كتاب العبر لعبد الرحمن بن خلدون" (وهران، 2003)، ومليكة حميدي "المرأة المغربية في عهد المرابطين 448- 541 هـ/1056- 1146" (الجزائر، 2003)، وفوزية كرراز "دور

المرأة في الغرب الإسلامي من القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن السابع الهجري" (وهران، 2004)، وخميسي بولعراس "الحياة الاجتماعية والثقافية في عصر ملوك الطوائف (400- 479 هـ/1019- 1141)" (باتنة، 2007)، ورسائل دكتوراه لطيفة بشاري "الرق في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى رحيل الفاطميين. (ق1- 4 هـ/7- 10 م)" (الجزائر، 2007)، وعيسى بن الذيب "المغرب والأندلس في عصر المرابطين. دراسة اجتماعية واقتصادية. (480- 540 هـ/ 1056- 1145 م)" (الجزائر، 2009)، ومحمد الشريف سيدي موسى "الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الاسباني. (10- 16م)" (الجزائر، 2010).

أما فيما يخص الصنف الثاني، فعدد المذكرات والرسائل فيه قليلة مقارنة بسابقه. فقد دشّنت دلال لواتي هذا النوع من الدراسات في رسالتها للماجستير حول "عامة القيروان في العصر الأغلبي (184- 296/800- 908)" (قسنطينة، 2002)، وتبعتها عدة مذكرات على غرار مذكرة علي شعوة "الحياة الاجتماعية من خلال كتاب "الدرر المكنونة في نوازل مازونة" (الجزائر، 2008)، ومذكرة مريامة لعناني "الأسرة الأندلسية في عصري الموحدين والمرابطين" (قسنطينة، 2009)، ومذكرة سمية مزدور "الأوبئة والمجاعات بالمغرب الأوسط من نهاية القرن السابع إلى مطلع القرن التاسع الهجري" (قسنطينة، 2010)، وأيضا مذكرة عابد بن دومي "الكوارث الطبيعية والجوائح والأوبئة في المغرب الأوسط وأثرها في المجتمع بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق 13- 15م)" (معسكر، 2011). ويضاف إلى

هذا الصنف رسالة دكتوراه عمر بلبشير "جوانب من الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية في المغربين الأوسط والأقصى من خلال كتاب المعيار للونشريسي" (وهران، 2010) التي انطلق فيها من تحليل لنوازل المعيار.

دائما في إطار التاريخ الاجتماعي، هناك اهتمام بتطوير الديمغرافيا التاريخية وتاريخ الأسر العلمية على غرار ما قام به رفيق خليفي في مذكرته "البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن 3 هـ إلى نهاية القرن 9 هـ" (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2008).

6- تذبذب في الدراسات الاقتصادية

إنّ الحصيلة العامة للدراسات الاقتصادية الوسيطية في الجزائر خصوصا في العشرية الأخيرة ليست جيدة، بالنظر لقلة المواضيع المطروقة وسطحية المعالجة. فالجديد الوحيد في هذا الميدان هو استعمال النصوص الفقهية والمنقبية والمعطيات الأثرية في عدد من الدراسات على غرار "انتشار ظاهرة الأوقاف في المغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين(ق13- 15م) ودورها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية" لعبيد بوداود (وهران، 2006)، و"جوانب من الحياة الاقتصادية والفكرية في المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14- 15 م) من خلال نوازل المازوني:"الدرر المكنونة في نوازل مازونة" لنور الدين غرداوي (الجزائر، 2006)، و"الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالأندلس من خلال النوازل الفقهية في القرنين 5- 6 هـ/11- 12م" لعبد العزيز حاج كولة (الجزائر 2، 2011)، و"الحرف في مدينة تلمسان على العهد الزياني (633- 962هـ/1335- 1554م)" للعربي لخضر (معسكر، 2011).

في حين أنّ معظم ما درس فقد تناول العلاقات التجارية انطلاقا من مادة مطروقة سابقا على غرار دراسة جميلة بن موسى "تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي (3- 5 هـ/ 9- 11 م)" (الجزائر، 2001)، وعبد الملك بكاي "التجارة في عهد بني زيري بإفريقية(360هـ - 543هـ)" (باتنة، 2006)، ويوسف عابد "الموحدون في بلاد المغرب 515-595هـ/1120- 1199- دراسة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية" (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2007)، ومعمر الهادي محمد القرقوطي "الحياة الاقتصادية في دولة بني مرين (668- 869 هـ/1269- 1465 م)" (الجزائر، 2009).

تجدر الإشارة هنا أيضا إلى قلة الدراسات الاقتصادية التي انطلقت من الوثائق الأرشيفية وهذا لا يفاجئنا في السياق العام للتاريخ الإسلامي. وهنا لا نلمس ذلك إلا في رسالتي دكتوراه: "نشاط جنوة الصليبي والتجاري في سواحل بلاد المغرب من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر" لرشيد باقة (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2007)، و"جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مصر الإسلامية في ضوء نصوص أوراق البردى العربي والكاغط والرق (ق2- 5 هـ/ 8- 11 م)" لجميلة بن موسى (الجزائر، 2010). كما أن عدد من الدراسات تناولت قضايا اقتصادية محددة على غرار رسالة دكتوراه الدولة لمحمد بن عميرة "الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين" (الجزائر، 2005)، ومذكرة ماجستير موسى هواري "تربية الحيوانات ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين" (الجزائر، 2009).

التوجهات الأخيرة في الدراسات الوسيطية

إنّ المتمعّن في الحقول التاريخية الوسيطية في الجزائر يلاحظ تنوع في المجالات المدروسة ومناهج معالجتها. فبالإضافة إلى الاستمرار في تطوير المحاور المذكورة أعلاه، هناك اهتمام بمحاور أخرى بكيفيات مختلفة.

1- المنوغرافيات المحلية

عرف التاريخ المحلي اهتماما كبيرا منذ أن ناقش عبد العزيز فيلالي رسالة دكتوراه حول "تلمسان في العهد الزياني: دراسة اجتماعية وسياسية وعمرانية وثقافية" (الجزائر، 1996). فقد انجزت في العشرية الأخيرة عدة منوغرافيات تناولت عدد من مدن المغرب الأوسط على وجه التحديد: "المدينة- الدولة في المغرب الأوسط: وارجلان نموذجا" لعمار غرائسة (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2008)، و"بجاية دراسة تاريخية و حضارية (ق 6- 7 هـ)" لآمينة بوتشيش (تلمسان، 2008)،و"مدينة وارجلان: دراسة في النشاط الاقتصادي والحياة الفكرية 4- 10 هـ/ 10- 16 م" لحاج عيسى إلياس بن عمر (الجزائر، 2009)،و"طبنة ودورها الحضاري من الفتح حتى نهاية القرن الخامس الهجري/11 م" لعبد النور قراري (الجزائر، 2009)،و"مدينة تيهرت الرستمية: دراسة تاريخية حضارية (القرن2- 3 هـ / 8- 9 م)" لفطيمة مطهري (تلمسان، 2010)، و"المدينة – الدولة في المغرب الأوسط الإسلامي: بسكرة نموذجا" لدعاء دريسي (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2012)، و"مدينة مازونة وناحيتها في العصر الوسيط: دراسة منوغرافية" لغنية عباسي (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2012).فإذا كانت المدن- العواصم محظوظة أكثر يبقى عدد من المدن المتوسطة والصغيرة

يحتاج إلى دراسات شاملة على ضوء المادة النصية والمعطيات الأثرية المتوفرة، وهو ما يعكف عليه بعض الطلبة الباحثين في تحضيرهم لمذكرات ورسائل حول بونة والمسيلة والجزائر...

كما انتقل مجال التاريخ المحلي الشامل إلى المستوى الجهوي على غرار مذكرة موسى رحماني "الأوراس في العصر الوسيط من الفتح الإسلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر (27- 362 هـ/637-972م): دراسة اجتماعية" (قسنطينة، 2007)، ودراسة صورية مديازة "بلاد الزاب من الفتح الاسلامي إلى غاية انتقال الخلافة الفاطمية (21- 362هـ)" (باتنة، 2010).

2- الجغرافيا التاريخية: من المدينة إلى الجماعات الريفية

رغم تخصيص عدم من المواضيع لدراسة المدينة والعمران على غرار مذكرة نوال بلمداني "المدينة بالمغرب الأوسط من خلال المصادر التاريخية والجغرافية" (وهران، 2006) ومذكرة الطاهر طويل "التطور التاريخي للمدينة بالمغرب الأوسط من النصف الثاني من القرن الأول للهجرة إلى القرن الخامس الهجري" (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2008)، تبقى دراسة المواقعية والمجالات والمسالك والتجمعات السكانية الريفية عديمة الحضور في البحث الجامعي الجزائري، على عكس ما هو موجود في معظم الجامعات العربية والعالمية. فباستثناء رسالة دكتوراه الطاهر طويل قيد التحضير حول الجغرافيا التاريخية للأوراس، يبقى هذا النوع من الدراسات يحتاج إلى توجيه عدد من الطلبة ممن يمتلكون تكوينا مزدوجا في التاريخ والآثار لدراسة عدد من مجالات المغرب الأوسط.

بعد "زناتة" محمد بن عميرة، حاول عدد من الدارسين تتبع الجماعات في المغرب الإسلامي على غرار رضا بن النية، "صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر 80- 362 هـ/699-973م: دراسة اجتماعية" (قسنطينة، 2006)، وعبد الرحمن بلاغ "قبيلة مكناسة البربرية ودورها المذهبي والسياسي في بلاد المغرب من القرن الثاني إلى القرن الرابع الهجري" (بشار، 2007)، وعيسى قوراري "قبيلة حميدان من القرن 11/5م إلى القرن 8 هـ/14م" (تلمسان، 2008)،ومفتاح خلفات "قبيلة زواوة ما بين القرنين 6- 9 هـ/ 12- 15 م. دراسة سياسية عمرانية اقتصادية اجتماعية" (الجزائر، 2010)، وأيضا مذكرة طاهر بخدة "التحركات والهجرات السكانية والقبلية في المغرب الأوسط خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين (ق10- 11م)" (معسكر، 2011). إنّ هذه الدراسات على أهميتها لم تستثمر المناهج الحديثة في دراسة التوزيع السكاني على غرار علم الآثار الجديد أو حتى المناهج الأونوماستية، مما يجعلها تسقط في الغالب في مسلمات تراثية بعيدة عن القراءة التاريخية.

إنّ توظيف النصوص الفقهية والمنقبية في دراسة التمدن والتوزيع الجغرافي للسكان على غرار ما قامت به سناء عطابي "الخطاب الفقهي والعمران في المغرب الأوسط" (الأمير عبد القادر- قسنطينة، 2008) بدأ يأخذ مكانته في الجامعة الجزائرية، مما يعطينا فكرة هامة على مختلف الأنماط العمرانية ومعايير تنظيمها في المغرب الإسلامي.

3- العودة إلى نمط السيرة

بعد أن تجاهلت مدرسة الحوليات نمط السيرة في الدراسات التاريخية، عادت إليها في الثلاثين سنة الماضية، مما أثرى الدراسات التاريخية بمعارف جديدة. لقي هذا النوع من الدراسات مكانة في الجامعة الجزائرية في العشرية الأخيرة من خلال تخصيص عدد من المذكرات والرسائل: "القاضي النعمان حياته وجهوده في نشر الدعوة الإسماعيلية وتطورها في الدور المغربي 313- 363هـ/925- 373م" لاسماعيل سامعي (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2003)، و"محمد بن عبد الكريم المغيلي ومساهمته في الثقافة الإسلامية في غرب إفريقية (823- 909هـ/1417- 1503م)" لمنيرة بوغرارة (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2003)، و "آل الرازي وآثارهم التاريخية والجغرافية(250- 379هـ)" لامحمد بوشريط (وهران، 2004)،و"علماء أسرة المرازقة و دورهم الثقافي بتلمسان من ق 7 إلى13هـ/10- 16 م" لنصر الدين بن داود (وهران، 2004)،و"أبوعثمان سعيد العقباني،حياته وآثاره (ت 811هـ/1408م)" لشهرزاد رفاف (بشار، 2006)، و"شيخ الحنابلة أبو الوفاء بن عقيل، حياته وأعماله السياسية والاجتماعية والعلمية 431- 513 هـ/ 1040- 1119 م" لبدرينة زيان (الجزائر 2، 2010).

4- الكتابة التاريخية وتاريخ العلوم

إذا كان ارتباط تاريخ العلوم بتخصصات أخرى من البديهيات، فإن أقسام التاريخ حاولت دراسة بعض الحقول المعرفية بمعزل عن تاريخ العلوم الذي يفترض تحكم الدارس في كل مقارباته ومعارفه. وعلى هذا الأساس

فإن جل ما درس في أقسام التاريخ يفتقد للأسف لهذا التوجه، واكتفى الدارسين فيه بعموميات لا ترتقي إلى مصف تاريخ العلوم وفق المناهج العالمية. ومن أمثلة ذلك أشير إلى دراسة نور الدين زرهوني "الطب والخدمات الطبية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)" (وهران، 2002) ودراسة بكير بوعروة "علماء الفلك بالأندلس من بداية الدولة الأموية حتى نهاية عصر ملوك الطوائف. 138- 484 هـ/775- 1088م" (الجزائر، 2009).

وعلى صعيد آخر حاول عدد من الدارسين دراسة الكتابة والمعرفة التاريخية في مجالات متعددة وبمقاربات مختلفة تراوحت بين الأسلوب الحديثي والمناهج الابستمولوجية الحديثة، ومن أمثلة ذلك طاهر سبع "دور مدرسة المدينة في الكتابة التاريخية من خلال آثار أبرز مؤرخيها حتى مطلع القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي" (الجزائر، 2002)، وبشار قويدر "منهجية ابن الأثير في التأريخ للقوى المعارضة للخلافة العباسية في الداخل والخارج" (الجزائر، 2007)، وآسيا ساحلي "إنتاج وانتقال المعارف التاريخية في المغرب الأوسط" (الأمير عبد القادر- 2009)وعلي زيان "المعرفة التاريخية في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي" (قسنطينة، 2011)، وعبد القادر مباركية "التجارة والتجارة المغربية إلى إفريقيا جنوب الصحراء من خلال المصادر الإباضية الوهبية من القرن 3 هـ/9م إلى القرن 10 هـ/16م" (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2012).

في حين أنّ حضور الإستوغرافيا المعاصرة في دراسة التاريخ الإسلامي لم يكن هاما في الدراسات التاريخية الجامعية الوطنية، حيث لم نسجل إلا

دراستين لكل من كريم بوترعة، "المغرب الأوسط الإسلامي في الكتابات التاريخية الفرنسية (1830- 1930)" (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2010) وزيد طايبي "مساهمة المستعرب البولوني "تاديوش ليفيتسكي" في دراسة العلاقات بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء".(الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2012).

5- غياب شبه كامل للأسلمة والتعريب

إذا كانت مسألة الأسلمة من القضايا التي أثارتها عديد من الدراسات الغربية حول العالم الإسلامي الوسيط، خصوصا بعد صدور كتاب رايتشارد بلات (Richard Bulliet) في نهاية سبعينات القرن الماضي، فإنّ هذه المسألة لم تلق اهتماما بالجامعة الجزائرية، حيث اقتصر فيها البحث على مذكرتين: "وسائل انتشار الإسلام في السودان الأوسط" لمسعود خالدي (الأمير عبد القادر (قسنطينة، 2000) و"انتشار الإسلام في بلاد المغرب وآثاره على المجتمع خلال القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)" لمصطفى باديس أوكيل (الجزائر، 2006). فمسألة الأسلمة والتعريب تبقى من القضايا المطروحة في البحث خصوصا على ضوء المناهج الجديدة والوثائق والنصوص غير العربية المتاحة اليوم للباحثين.

الخاتمة: كلمة لا بد منها

في خاتمة هذا العرض المتواضع، بودي الإشارة إلى جملة من القضايا تعبّر عن الحصيلة الفعلية للبحث العلمي بالجامعة الجزائرية. أولها هو غياب البعد العالمي (la dimension internationale) للغالبية العظمى من الأبحاث المنجزة بحيث لا تقدم لا إضافة معرفية ولا منهجية لتناولها مواضيع مستهلكة أو

لتواضعها علميا، مما يفسّر المكانة غير المريحة للتاريخ الوسيط بالجامعة الجزائرية، باستثناء مجهودات عدد من الباحثين المشرفة في هذا المجال. إنّ غياب البعد العالمي يترجم أيضا بعدم الاطلاع على مئات الأبحاث باللغات غير العربية وبقي معظم الدارسين مرتبط بمرحلة إميل- فليكس غوتتيه (Emile-Felix Gautier) وجورج مارسي (Georges Marçais) بمعنى الاستشراق الكلاسيكي، في حين تغيب الدراسات المجددة في التاريخ الوسيط الإسلامي خصوصا التي أنجزها الدارسين الانجليز والأمريكيين والألمان وحتى الجيل المعاصر من الفرنسيين.

إنّ تنوع المواضيع لا يعن بالضرورة القيام بأبحاث جادة، لأن معظم ما أنجز كان من خلال مقاربات تقليدية كانت فيها سلطة الكلمة للنص التراثي بدلا من توظيف مناهج العلوم الاجتماعية على نطاق واسع كما هو جار في الجامعات العالمية. إنّ جمود وانغلاق الأبحاث التاريخية ينسحب على معظم المذكرات والرسائل باستثناء القليل حيث يبرز التأثير المغربي والتونسي وحتى المصري واضحا للعيان من خلال مطالعة الكتب أو تقليد عدد من مقارباتها المنهجية.

إذا ما كان جائزا استعمال كلمة "وسيط" عندنا، فهذا التاريخ هو في أساسه إسلامي بل إسلامي مغرب- أندلسي بالنظر لفشل الجامعة الجزائرية في تكوين متخصصين خارج هذه الدائرة. فلا نجد وسيط غربي بالمعايير المعروفة ولا وسيط بيزنطي بما هو متعارف عليه، نظرا لعدم امتلاك الأدوات اللغوية (اللاتينية واليونانية واللغات الأوربية الكلاسيكية) والمنهجية المطلوبة. كما أن الجامعة الجزائرية تجد نفسها اليوم عاجزة كلية عن

تكوين متخصصين لهم سمعتهم الدولية في تاريخ المشرق الإسلامي، واكتفت جل المذكرات والرسائل تقريبا باستنساخ لمواضيع مدروسة وبمناهج تقليدية، لايكاد يسمع أصحابها بالوثائق الأرشيفية والمادية المستغلة في الدراسات المتخصصة والعميقة.

إنّ إشراف عدد من الأساتذة غير المتخصصين على مذكرات ورسائل ماجستير ودكتوراه كان له أثره الكارثي على نوعية المواضيع المطروقة والمناهج المتبعة، مما يحتّم اليوم مراجعة العملية بأكملها لتفادي ما حدث.وتنسحب نفس الملاحظة على أولئك الذين يشرفون على مواضيع متنوعة خارج دائرة البحث العلمي الجاد، مكتفين في الغالب بمنح بمواضيع أقل ما يقال عنها أنها ثقافة عامة.

خمسون سنة، كافية من حيث الكم، لكن لم تكن كذلك من حيث النوع، ولهذا يجب إحداث ثورة منهجية ومعرفية للوصول إلى الأحسن.

المراجع

بوعقادة (عبد القادر)، (2008)، "جهود الدكتور موسى لقبال في الارتقاء بالبحث العلمي بجامعة الجزائر من خلال الإشراف في مرحلتي الماجستير والدكتوراه 1978-2007"، دراسات وبحوث مغربية: أعمال مهداة إلى الأستاذ الدكتور موسى لقبال، تنسيق إسماعيل سامعي وعلاوة عمارة،. قسنطينة، منشورات مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي، ص 117- 129.

سعيدوني (ناصر الدين)، (2011)، "كلمة وداع الأستاذ د. موسى لقبال"، مجلة الدراسات التاريخية، 13، ص 257- 263.

عمارة (علاوة)، عويمر (مولود)، بوداود (عبيد)، بوترعة (كريم)، (2012)، خمسون سنة من البحث التاريخي بالجامعة الجزائرية 1962- 2012، قسنطينة، منشورات جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. (قيد النشر).

قصير(حليمة)، (2009)، "دليل مناقشات رسائل الماجستير والدكتوراه في كلية الآداب والعلوم الإنسانية (معهد الحضارة الإسلامية سابقا) 1990- 2008"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، 10، ص 417- 438.

ودوع(محمد)، (2011)، "دور قسم التاريخ في إعداد وتأطير طلبة ما بعد التدرج"، مجلة الدراسات التاريخية 13، ص 265- 278.

Sous-direction de la post-graduation,(1985-1987),*Annuaire des thèses soutenues*, Alger, Ministère de l'Enseignement supérieur.